والمعصية. ثم قال: ﴿بل تكذبون بالدين﴾ أصلاً وهو الجزاء، أو دين الإسلام فلا تصدّقون ثواباً ولا عقاباً وهو شر من الطمع المنكر.

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾.

﴿وإنّ عليكم لحافظين﴾ تحقيق لما يكذبون به من الجزاء، يعني: أنكم تكذبون بالجزاء.

كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾.

والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وإنه عند الله من جلائل الأمور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة، وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدّها من آية على الغافلين.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾.

﴿وما هم عنها بغائبين﴾ كقوله: ﴿وما هم بخارجين منها﴾[1] ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك. يعني: في قبورهم. وقيل: أخبر الله في هذه الصورة أنّ لابن آدم ثلاث حالات: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازى فيها، وحال البرزخ. وهو قوله: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ يعني: أنّ أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدّة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال:

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده، من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك، ومن نصب فبإضمار يدانون لأنّ الدين يدل عليه أو بإضمار انكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في محل الرفع. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنةً وبعدد كل قبر حسنة»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المطففين مكية

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾.

التطفيف: البخس في الكيل والوزن، لأنّ ما يبخس شيء طفيف حقير. وروي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلاً فنزلت. فأحسنوا الكيل[3]. وقيل: قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر[4]. وقيل: كان أهل المدينة تجارًا يطففون، وكانت بياعاتهم المنابزة والملامسة والمخاطرة فنزلت. فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم[5] وقال: خمس بخمس. قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس. قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر[6]، وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح. فقال له: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت، كأنه أمره بالتسوية أولاً ليعتادها ويفصل الواجب من النقل، وعن ابن عباس: إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم: المكيال، والميزان. وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعًا وكانا مفرّقين في الحرمين. كان أهل مكة يزنون، وأهل المدينة يكيلون، وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له: اتق الله وأوف الكيل فإنّ المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمان حتى إن العرق ليلجمهم. وعن عكرمة: أشهد أنّ كل كيال ووزان في النار. فقيل له: إنّ ابنك كيال أو وزان. فقال: أشهد أنه في النار. وعن أبيّ رضي الله عنه: لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين.

ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾.

لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرهم[7] ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك. ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة

---

(1) سورة المائدة، الآية: 37.

(2) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، ورواه الواحدي في تفسيرهم، زيلعي 4/168.

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: البيوع (الحديث رقم: 4919)، وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/33.

(4) رواه الواحدي في أسباب النزول، ص 25.

(5) قال الزيلعي غريب 4/172.

(6) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/126.

(7) قال أحمد: لا منافرة فيه، ولا يجعل هذا القائل الضمير دالاً على مباشرة ولا إشعاراً أيضاً فيه بذلك، إنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه، إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه، سواء باشروه أو لا، وهذا أنظم كلام وأحسنه، والله أعلم. والذي يدلك على أن الضمير لا يعطي مباشرة الفعل أن لك أن تقول: الأمراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة، لست تعني أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم، وإنما معناه: أن فعل ذلك من جهتهم خاصة.

الخصوصية. أي: يستوفون على الناس خاصةً، فأما أنفسهم فيستوفون لها. وقال القراء: من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه. فإذا قال: اكتلت عليك. فكأنه قال: أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك فكقوله: استوفيت منك.

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾.

والضمير في ﴿كالوهم أو وزنوهم﴾ ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان: أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال:

ولقد جنيتك أكمؤًا وعساقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والحريص يصيدك لا الجواد، بمعنى: جنيت لك ويصيد لك. وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرًا مرفوعًا للمطففين لأنّ الكلام يخرج به إلى نظم فاسد. وذلك أنّ المعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا، وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك: إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا. وهو كلام متنافر لأنّ الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في إبطاله بخط المصحف، وأنّ الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك، لأنّ خط المصحف لم يراع في كثير منه حدّ المصطلح عليه في علم الخط. على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى: جميعًا، لأنّ الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك: هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال: المعنى كاف في التفرقة بينهما. وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك. أي: يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا.

فإن قُلْتَ: هلا قيل: أو اتزنوا كما قيل: أو وزنوهم! **قُلْتُ:** كان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء، وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعًا. ﴿يخسرون﴾ ينقصون، يقال خسر الميزان وأخسره.

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾.

﴿ألا يظن﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينًا ﴿أنهم مبعوثون﴾ ومحاسبون على مقدار الذرّة والخردلة. وعن قتادة: أوفِ يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك، واعدل كما تحب أن يوفى لك. وعن الفضيل: بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة. وعن عبد الملك بن مروان أنّ أعرابيًا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين. أراد بذلك أنّ المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن. وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل. وقيل: الظنّ بمعنى اليقين والوجه ما ذكر.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾.

ونصب ﴿يوم يقوم﴾ بمبعوثون. وقرئ: بالجر بدلاً من يوم عظيم. وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾. بكى نحيبًا وامتنع من قراءة بعده.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾.

﴿كلا﴾ ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه، ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم. وكتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾.

فإن قُلْتَ: قد أخبر الله عن كتاب الفجار بانه من سجين ودوّن سجينًا بكتاب مرقوم. فكأنه قيل: إنّ كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه؟ **قُلْتُ:** سجين كتاب جامع هو ديوان الشر ودوّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه. فالمعنى: أنّ ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمى سجينًا فعيلاً من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذرّيته استهانةً به وإذالةً وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقرّبون.

فإن قُلْتَ: فما سجين أصفة هو أم اسم؟ **قُلْتُ:** بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم، وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف.

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾.

﴿الذين يكذبون﴾ مما وصف به للذم لا للبيان كقولك: عاد كلامه.

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾.

﴿قال﴾ والتعلق في إبطال هذا بخط المصحف لعدم الألف بعد الواو ركيك إلخ... فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾.

﴿كلا﴾ ردع للمعتدي الأثيم عن قوله: ﴿ران على

قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها، وهو أن يصرّ على الكبائر ويسوّف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل إليه. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسودّ القلب، يقال: ران عليه الذنب وغان عليه رنياً وغيناً والغين الغيم. ويقال: ران فيه النوم رسخ فيه، ورانت به الخمر ذهبت به، وقرئ: بإدغام اللام في الراء وبالإظهار والإدغام أجود وأميلت الألف وفخمت.

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾.

﴿كلا﴾ ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم. وكونهم محجوبين عنه تمثيل[1] للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرّمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم. قال:

إذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا

والناس من بين مرجوب ومحجوب. وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة: محجوبين عن رحمته. وعن ابن كيسان: عن كرامته.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾.

﴿كلا﴾ ردع عن التكذيب. **﴿وكتاب الأبرار﴾** ما كتب من أعمالهم.

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾.

و**﴿عليون﴾** علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع عليّ فعيل من العلو كسجين من السجن، سمي بذلك إمّا لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإمّا لأنه مرفوع في السماء السابعة.

يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾.

حيث يسكن الكروبيون تكريمًا له وتعظيمًا. وروي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم، أنكم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه، وأنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له. وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وأنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين[2].

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿الأرائك﴾ الأسرة في الحجال. **﴿ينظرون﴾** إلى ما شاؤوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك.

تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾.

﴿نضرة النعيم﴾ بهجة التنعم وماءه ورونقه، كما ترى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه. وقرئ: تعرف على البناء للمفعول، ونضرة النعيم بالرفع. الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه.

يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾.

﴿مختوم﴾ تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة.

خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾.

وقيل: **﴿ختامه مسك﴾** مقطعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك. وقرئ: خاتمه بفتح التاء وكسرها، أي: ما يختم به ويقطع. **﴿فليتنافس المتنافسون﴾** فليرتغب المرتغبون.

وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾.

﴿تسنيم﴾ علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه، إمّا لأنها أرفع شراب في الجنة، وإمّا لأنها تأتيهم من فوق، على ما روي أنها تجري في الهواء متسنمةً فتنصب في أوانيهم.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾.

و**﴿عينًا﴾** نصب على المدح، وقال الزجاج: نصب على الحال. وقيل: هي للمقربين يشربونها صرفًا وتمزج لسائر أهل الجنة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾.

هم مشركو مكة: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم. كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم. وقيل: جاء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله ﷺ.

وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾.

﴿يتغامزون﴾ يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم.

وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ

---

(1) قال أحمد: هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية، فإن الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب، ولا معنى لرفع الحجاب إلا الإدراك بالعين، وإلا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال، هذا هو = الحق وما بعد الحق إلا الضلال، وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يخطئ بها، والله المسؤول في العصمة.

(2) قال الزيلعي، رواه ابن المبارك في كتاب: الزهد والرقائق 4/173.

هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾.

﴿فكهين﴾ ملتذين بذكرهم والسخرية منهم، أي: ينسبون المسلمين إلى الضلال.

وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾.

﴿وما أرسلوا﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار: وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا: إنّ هؤلاء لضالون، وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارًا لصدّهم إياهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وجدّهم في ذلك.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾.

﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من يضحكون أي: يضحكون أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الأرائك آمنون. وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: أخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارًا فيضحك المؤمنون منهم.

هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾.

ثوب وأثابه بمعنى إذا جازاه. قال أوس:

سأجزيك أو يجزيك عني مثوّب وحسبك أن يثني عليك وتحمدي

وقرئ: بإدغام اللام في الشاء، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة انشقت مكية

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾.

حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاءً بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار، وقيل: جوابها ما دل عليه فملاقيه أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه، ومعناه: إذا انشقت بالغمام. كقوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء﴾[2] بالغمام، وعن علي رضي الله عنه: تنشق من المجرة.

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾.

أذن له، استمع له[3]: ومنه قوله عليه السلام: ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن[4]. وقول جحاف بن حكيم: أذنت لكم لما سمعت هريركم. والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع. كقوله: ﴿أتينا طائعين﴾[5] ﴿وحقت﴾ من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، ومعناه: الإيذان بأنّ القادر بالذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك.

وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾.

﴿مدت﴾ من مد الشيء فامتد، وهو أن تذال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها. كما قال تعالى: قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مدت مد الأديم العكاظي، لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى، أو من مد بمعنى: أمده، أي: زيدت سعة وبسطة.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾.

﴿وألقت ما فيها﴾ ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز. ﴿وتخلت﴾ وخلت غايةً، والخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو، كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما.

﴿وأذنت لربها﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾.

الكدح: جهد النفس في العمل والكدّ فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده إذا خدشه. ومعنى: ﴿كادح إلى ربك﴾ جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء. ﴿فملاقيه﴾ فملاق له لا محالة لا مفر لك منه. وقيل: الضمير في ملاقيه للكدح.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾.

﴿يسيرًا﴾ سهلاً هينًا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة رضي الله عنها: هو أن يعرّف ذنوبه ثم يتجاوز عنه.

---

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 174.

(2) سورة الفرقان، الآية: 25.

(3) قال أحمد: ننص تفسير الآية بقوله: القادر بالذات وما باله لا يقول: القادر الذي عمت قدرته الكائنات، حتى لا كون إلا بقدرته حقيق أن = يسمع له ويطاع، فيثبت لله صفة الكمال، ويوحده حق توحيده، وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى، وإشراك مخلوقاته به جل ربنا وعز.

(4) تقدم في سورة إبراهيم.

(5) سورة فصلت، الآية: 11.